

تربية الشباب والاطفال في ضوء السيرة النبوية ﷺ

الأستاذ الدكتور عبد الله كوثر

بلدية گورنمنٹ کالج کراتشي

Abstract

Training of the childrens has been an important issue in every society. It require to be developed. The childhood is categorized in five periods.

01. You have to lead the whole umma by your goof moral character.

02. Those parents who do not pay their attention to their children, and take and society. They don't take interest to in every academic activities for the children, the children are not properly educated and characterized.

الحمد لله على نعمائه الشاملة وعلى آلائه الكاملة، والصلوة والسلام على هادي الامة المبعوث رحمة للعالمين سيد ولد آدم محمد ﷺ وآله وصحبه اجمعين
اما بعد!

يتصور الكثيرون ان العناية بالشباب واعدادهم للمستقبل ووضع الامكانات المختلفة من سميزات التي تفردها "العصر الحديث" بينما توكد لنا الدراسات التاريخية للتربية بان المسلمين كانوا طوال العصور السابقين كما شابههم دائما في جوانب العلم والحضارة المدنية.

وكان الاسلوب الذي يريد الاسلام هو توحيد القوتين الكبيرين
①- قوة الروح ②- قوة الجسد ليعمل الصالح الفرد والجماعة وهدى واحد هو اعداد الفرد المسلم ليكون جديرا يحمل الامانة التي وضعت على عاتقه للدفاع عن الاسلام ونشر الدعوة الاسلامية في كافة الارحاء... قال الله تعالى:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ

يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

جَهُولًا ①

واحب ان اشير في مقالتي هذا الموضوع تربية الشباب والاطفال في ضوء
السيرة النبوية ﷺ

موضوع واسع متنوع وان يحته من كل الزوايا والجوانب بحثا
مستفيضا. مع هذا ارجوا ان اتمكن الخطوط العريضة التي تكفي بالاشارة الدالة
واللمحة الموجزة عن التفاصيل ولعل في ضوء ذلك استطيع
اقرصورة واضحة لتربية الشباب والاطفال في الاسلام.

التربية والشباب في ضوء اللغة:

التربية ماله رب يربي تربية هو انشاء من حال الى حال الى حد التمام.
قال ابن عباس في ماله ربانيون من يربي معنار الناس قيل كبا رهم ومنه
الرب. ولا يقال الرب مطلقا الا لله ويقال لغيره نحورب المال رب الفرس (٢)
لفظ الشباب معناه،

يدل على تمام الشيء وقوته في حرارته تعستريه قال شب الحرب اذا
اوقدتها منه الشاب:- والشباب أيضا جمع شاب، وذلك هو- النماء والزيادة
بقوة جسمه وحرارته، والشبيبة الشباب وهو الفتاء والحداثه، وامرأة شابة ونسوة
شواب، والشب ارتفاع كل شيء- ويقال: رجل شب وامرأة شبة، كما يقال:
لقيت فلانا في شباب النهار وبشباب نهار أي في أوله، ورجل مشبوب: جميل
حسن الوجه كأنه أوقد (٣)

وفي رواية أنه ﷺ لبس مدرعة سوداء فقالت عائشة رضي الله عنها: ما أحسنها
عليك يشب سوادها بياضك، وبياضك سوادها. أي تحسنه ويحسنها. وفي
كتابه ﷺ لوائل بن حجر: إلى الأقيال العاهلة والأرواع المشاييب، أي السادة
الرؤوس الزهر الألوان الحسان المناظر، والشب ارتفاع كل شيء (٤)

وأحب أن ألفت النظر إلى أن كتب اللغة فرقت في مادة هذه الكلمة بين
شباب الانسان وشباب غيره فقالت- مثلاً- شب الفرس شبابا- بكسر الشين- و
ذلك إذا نشط ورفع يده جميعاً- ويقولون: برئت إليك من شبابيه- بكسر الشين-
وعضاضه، ومن نفس الباب: الشيب الفتى من بقر الوحش، ومن هذا القياس:
أشب له الشيء إذا قدر وكأنيح وكأنه رفع وأسمى له- (٥) مما وصلت إليه

- نظريات علم النفس الحديث حيث تحدد هذه النظريات مراحل النمو كما يلي:
- ① سن المهد، وينتهي عادة بعد نهاية السنة الأولى وقبل نهاية السنة الثانية.
 - ② الطفولة الأولى، وتنتهي تقريباً في سن الخامسة.
 - ③ الطفولة المتأخرة، وتنتهي في سن الثانية عشرة على وجه التقريب.
 - ④ المراهقة أو المراحل الأولى من البلوغ وما قبله مباشرة.
 - ⑤ البلوغ - (٦)

أسلوب التربية في ضوء السيرة النبوية ﷺ:

ولعل من المفيد هنا أن نشير بإيجاز إلى بعض مظاهر هذه التربية، فقد ورد عنه ﷺ أنه كان يطيل سجوده في الصلاة إذا ركب على ظهره أحد أحفاده الحسن والحسين لثلاثين يوماً، وكان ﷺ يقبلهما حتى إذا ما اعترض على معاملته هذه أحد الأعراب الجفاة الطباع أجابه عليه الصلاة والسلام:

”من لا يرحم لا يرحم“ (٤)

”ويقول للأعرابي الآخز الذي قال أن له عشرة من الولد ما قبيل منهم أحداً (أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك“ (٨) كما ثبت في الصحيحين عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب ابنته ﷺ، فإذا قام حملها على عنقه وإذا سجد وضعها. (٩)

وجاء في سنن أبي داود:

”بينما نحن ننتظر رسول الله ﷺ في الظر أو العصر. قد دعاه بلال للصلاة وأمامة بنت أبي العاص. بنت زينب. على عنقه، فقال رسول الله ﷺ في مصلاه وقمنا خلفه، وهي في مكانها الذي هي فيه، فكثرت فكثرتنا، حتى إذا أراد رسول الله ﷺ أن يركع أخذها فوضعها ثم ركع وسجد، حتى إذا فرغ من سجوده قام وأخذها فردها في مكانها، فما زال رسول الله ﷺ يصنع بها ذلك في كل ركعة حتى فرغ من صلاته عليه

الصلاة والسلام-(١٠)

وليس هناك ما هو أذل على رعايته وحده ﷺ على الأطفال من هذه المعاملة الكريمة التي حرص ﷺ على أن يقوم بها في صلاة الفريضة وأمام أصحابه، ليكون لها أكثر من دلالة العطف والحب في هذا الموقف، حيث لا يمكن تفسيره إلا على أساس أنه تشريع قصد به ﷺ إعطاء القدرة لأمته في رعاية العدائي في نفوسهم إلى ما بعد فترة طويلة من الزمن ربما امتدت إلى أربعين سنة حينما قدر لهم اللقاء بيوسف وأتاحت لهم المناسبة- السرقة التي دبرت لأخيه "بنياسير" لاستقبائه- الفرصة للتنفيس عن مشاعرهم القديمة الجامدة تجاه يوسف وأخيه:

قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ (١١)

وعلى ضوء ما سبق نستطيع أن نقول: إن هذه التوجيهات النبوية السامية في تربية الأطفال تكشفت عن تفهم عميق لنفسية الطفل وسدى ما ينطبع في وعية الباطن من ردود الفعل التي ووجه بها من المجتمع، واقرنت في وعية بالاستجابات المسلكية التي رافقتها، مما يدفع به إلى اتخاذ موقف معين تجاهها، وذلك إلى جانب ما تشف عنه من رعاية وحب و عطف كانت من أبرز صفاته ﷺ.

مَسْئُولِيَّةُ تَرْبِيَةِ الشَّابِّ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ:

إن المسؤولية التي وضعها الإسلام لتربية الشباب لم تكن مجرد توجيهات أو نصائح تتصل بمرحلة واحدة من العمر لأن الإسلام- كما قلنا- يعرف أهمية الطفولة وانطباعاتها، وقيمة الوسط الذي عاش فيه الطفل، والمعاملة التي عومل بها، وضروب التربية التي تلقاها من المسؤولين عن تربيته و رعايته، ولذلك جاء في الحديث الشريف:

'يؤتى يوم القيامة بالأب وابنه فيقول الابن- يارب! سل أبي

لماذا لم يأسرنى بالطاعة ولم ينهني عن المعصية" (١٢)

وحدد الرسول ﷺ مع ذلك وسائل التربية التي تتيح للأب تربية ابنه دون أن يتسبب في تعقيده، أو يربط مفاهيم التربية في نفسه الغضة بوسائل

التعذيب والارهاب مما يتخلف عنه أسوأ.

الأثار النفسية، فأمر ﷺ بأن يؤمر الأطفال بالصلاة لسبع ويضربوا عليها لعشر (١٣) و حدد علماء التربية المسلمين عدد الضربات بأنها في حدود ثلاث ضربات فقط، يقصد بها التواحيه وإشعار الطفل بواجباته، وليس يقصد بها إطلاقاً الإنتقام و إلحاق الأذى به- كما ورد في أحد الأحاديث النبوية ما يشير إلى ضرورة إحاطة الآباء لأبنائهم بالحب والعطف والحنان والرعاية الصادقة حتى لا يشتبوا على بغض آبائهم وكرهم، كما سبق أن رأينا حينما استعرضنا قصة يوسف عليه السلام وإخوته، فيقول ﷺ:

”أكرموا أولادكم، وأحسنوا آدابهم، وأقبلوا الكرام عثراتهم
إلا الحدود“-(١٣)

وقال ﷺ: ”لعن الله والذين حملا ولدهما على عقوقهما“
وقال ﷺ: ”رحم الله والذين حملا ولدهما على ترهما“-(١٥)

فهى تحمل الأبوين مسؤوليه تربية الأبناء وصياغتهم صياغة قويمه، فإذا عرف الأبناء كيف يسوسون هؤلاء الأبناء، واستطاعا توجيههم الوجهه الإسلاميه السليمه، و غرسا فيهم خصال الخير والبر والمعروف، وأسبغا عليهم ألوان العطف والمحبه والإعزاز، فقد أذيا الأمانه وقاما بمسؤوليتهما خير قيام و قدما لأمتهم الإسلاميه شباباً قوياً نافعاً مخلصاً جديراً بالإكبار والتقدير، وكسبا عملاً صالحاً باقياً يحسدان عليه-

”إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو
علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوه“-(١٦)

أو كما قال ﷺ: ”سلم على أهل بيتك يكثر خير بيتكم“-(١٧)
كما يقول عليه الصلاة والسلام:

”خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى“-(١٨)

وتأكيداً لهذه التوجيهات الكريمة وتحذيراً من مغبة الإبتعاد عن المعانى الحقيقيه للرعايه يقول ﷺ: ”ما من عبد الرحمة، استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة-

بل ان توقير الكبير والرحمة بالصغير من وجهة عامة فريضة دينية واجبة في نظر الإسلام: "وقر الكبير، وارحم الصغير تلقني غداً" - "ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا" - (١٩)

والرحمة في ذاتها بكل مترادفاتهما من الأخلاق الإسلامية الأصيلة التي لا يمكن التخلي عنها أو تجاهلها فمن أحاديثه ﷺ في هذا الإتجاه: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء لا يرحم الله من لا يرحم الناس" - (٢٠) "ثلاث من كن فيه يسر الله حنفه، وأدخله جنّته: رفق بالضعيف، وشفقة على الوالدين، وإحسان على الملوك" "الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله" - (٢١)

فهذا الفيض من الأحاديث التي تتحدث عن وبخاصة الرحمة بالطفل و اليتيم والصغير هي كما قلنا من الأخلاق الإسلامية الأصيلة، ولكنها تحمل في نفس الوقت شعوراً عميقاً بأهمية رعاية الطفولة وأثر هذه الرعاية في تكوين شخصية المسلم تكويناً سليماً صحيحاً سبراً من العلل والأمراض الجسمية والنفسية. فقد روى أبو داؤد عن عوف بن مالك: أن النبي ﷺ قال: "أنا وسفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة" - (٢٢) وسفعاء الخدين: هي المرأة التي شحبت لونها من قيامها على خدمة ولدها، وهي امرأة ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى تغير لونها وانطفأ جمالها وأهملت كل وسائل الزينة ومظاهر الجمال في سبيل رعاية أيتاماها ومحافظة عليها.

وروى البخارى وغيره، عن سهل بن سعد، عن النبي

ﷺ أنه قال: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بإصبعه

السبابة والوسطى" (٢٣)

وقال ﷺ: "من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا

وراح شاهراً سيفه في سبيل الله، و كنت أنا وهو في الجنة إخواناً، كما أن هاتين أختين، وألصق السبابة بالوسطى" -

وقال: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في

سبيل الله" - (٢٣)

والمبدأ الرفيع الذي نادى به الإسلام وهو أن: "الدال على الخير

كفاعله“-(٢٥)

مثله احاديث كثيرا فى تربية الاطفال و هذا المسئلة واضحة أن الرسول
ﷺ هو مربى الاطفال والشباب ومعلميه

مظاهر التربية فى عهد النبوى ﷺ:

فقد جاءت امرأة تعرف فى كتب السيرة بالغامدية جاءت إلى النبي ﷺ
فقالت: يا رسول الله! طهرنى- فقال: ارجعى، ثم أتته من الغد فاعترفت بالزنا،
وقالت له: والله إنى لجهلى، قال لها: ارجعى حتى تلدى- فلما ولدت جاءت بالصبي
تحمله فقالت: يا نبي الله! هذا قد ولدته، قال لها: اذهبي حتى تطفميه، فلما فطمته
جاءت بالصبي وفى يده كسرة خبز فقالت له: يا نبي الله! هذا قد فطمته.. فأمر النبي
ﷺ بالصبي فدفع إلى رجل من المسلمين وأمر بها فرجمت-(٢٦)

فهل نجد أروع من هذه المعاملة فى رعاية الطفل وفى ظروف قاسية
كهذه الظروف- واهتمام الإسلام بكافة الجوانب التى تكفل رعاية الوليد و
تنشئته النشأة الصالحة و إتاحة كل الظروف التى تهىء له سبيل الإستقرار
النفسى والشعور بالأمن و إرواء الحاجة إلى الحب بما فى ذلك فترة الرضاع التى
حدد لها الإسلام لمن أراد أن يتم الرضاعة عامين، وهى المدة التى تجمع البحوث
النفسية والطبية على أنها هى الفترة الطبيعية للرضاعة بجانب الأحكام التى
وردت عن الفطام و بما يتصل به من الحضانه ومدتها بالنسبة لانفصال الوالدين
عن بعضهما والتوجيهات النبوية الأخرى التى تفيض بالحب والحنن
والرعاية على الأطفال، كل ذلك يؤكده لنا ما سبق أن اشرنا إليه من الأهمية التى
يوليها الإسلام للطفولة المبكرة، لأنها هى المرحلة الأساسية أو التأسيسية التى
تقوم عليها بقية المراحل فى حياة الفرد-

من تربية الرسول ﷺ للصغار انه يختار لهم الأسماء الحسنة، كاسماء
الأنبياء مثلاً، مما يجعل النصف يفتخرون، ويسعون للاقتداء بالنبي صاحب
الاسم، والرسول ﷺ يحضن الصغار ويلاطفهم، فعن يوسف بن عبد الله بن سلام
رضى الله عنهم قال:

”سمانى رسول الله ﷺ ويوسف وأجلسنى فى حجره“-(٢٧)

لا يحب الرسول ﷺ أن يرى صغيراً قد مات أبوه بلا طعام أو لباس أو مسكن أو دواء، أو لا يتعلم لأنه لا يملك شيئاً، لهذا حث ﷺ على كفاية المسلمين الأغنياء للأيتام، فيوفروا كل ما يحتاجه اليتيم، وحتى يتشجع المسلمون وعد الرسول ﷺ من يكفل الأيتام بمصاحبه في الجنة، بل بالقرب منه حتى يصير كافلاً اليتيم قريباً من الرسول ﷺ كقرب أصبع السبابة إلى الوسطى، فمن سهل رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا" و

أشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً" - (٢٨)

كثير من الآباء يستحي أن يحمل أبناءه في الأماكن العامة، بينما الرسول ﷺ المحب للصغار يحملهم إذا أقبل من سفر، فمن عبد الله بن جعفر قال: "كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى بنا، قال: فتلقى بي وبالحسن أو بالحسين، قال: فحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه، حتى قدمنا المدينة" - (٢٩) و يحملهم ﷺ وهو يصلي، فمن أبي قتادة الأنصاري: "أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها" - (٣٠)

رأيت ذات مرة أبا يقود ابنه ويجبره على السير معه بطريقة عنيفة والصغير يبكي، والأب لا يرحم الصغير ولا يرفق به، بل يشد على يده ويسحبه، بينما النبي ﷺ كان رقيقاً بالصغار لأنه يحبهم، فمن أبي هريرة قال:

"كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، فإذا سجد وثب

الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من

خلفه أخذاً رقيقاً ويضعهما على الأرض، فإذا عاد عاداً، حتى

إذا قضى صلاته أقعدهما على فخذه" - (٣١)

من حب الرسول ﷺ للصغار انه كان يبدأ بهم في أمور كثيرة منها: أنه كان يطعمهم قبل أن يطعم الكبار، فمن أبي هريرة قال: كان الناس إذا راوا أول الثمر جاؤوا به إلى النبي ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال:

اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا

فی ساعتنا، وبارک لنا فی مدنا، اللهم ان ابراهيم عبدک و
خليلک ونبیک، وانی عبدک ونبیک، وانه دعاک
لمکة وانی أدعوک للمدينة بمثل ما دعاک لمکة و مثله
معہ“ قال: ثم يدعوا صغرو وليدله فيعطيه ذلك الثمر۔ (۳۲)

يعض الآباء إذا سقط شيء يستقذره من الصغار يفضب غضبا شديداً، بل
قد يشتم ويضرب، بينما النبي ﷺ المحب للصغار إذا صار شيء من ذلك لا
يفضب ابداء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
” رأيت النبي ﷺ حاملاً الحسن بن علي عاتقه، ولعابه
يسيل عليه“۔ (۳۳)

كل هؤلاء الاعمال لتربية الاطفال ولأمة المسلمة

المصادر والمراجع:

- ۱۔ سورہ الاحزاب، آیت ۷۲
- ۲۔ امام راغب اصفہانی، مفردات القرآن، طبع قدیمی کتب خانہ کراچی،
ص ۱۸۳
- ۳۔ ایضاً
- ۴۔ افریقی ابن منظور لسان العرب، طبع بیروت، ج ۶، ص ۳۲۵
- ۵۔ ایضاً
- ۶۔ امام جاحظ، ادب الکاتب، طبع بیروت،
- ۷۔ تبریزی خطیب ولی الدین تبریزی، مشکوٰۃ المصابیح، قدیمی کتب
خانہ کراچی، ص ۴۲۱
- ۸۔ ایضاً
- ۹۔ بخاری، محمد بن اسماعیل، صحیح بخاری، قدیمی کتب خانہ،
کراچی، ص ۷۴
- ۱۰۔ سبجستانی ابوداؤد، سنن ابوداؤد، طبع رحمانیہ کراچی، ص ۱۴۰
- ۱۱۔ سورہ یوسف، آیت ۷۷
- ۱۲۔ احمد بن حنبل، مسند احمد، ص ۵۲، طبع بیروت، ص ۳۳۶

- ۱۳۔ سبحستانی ابوداؤد، سنن ابوداؤد، طبع رحمانیہ کراچی، ص ۸۲
- ۱۴۔ احمد بن حنبل، مسند احمد، ص ۳۲، طبع بیروت، ص ۳۲۷
- ۱۵۔ ایضاً، ص ۳۲۷
- ۱۶۔ تبریزی، خطیب والعالین، مشکوٰۃ المصابیح، قدیمی کتب خانہ کراچی، ص ۳۶
- ۱۷۔ احمد بن حنبل، مسند احمد بن حنبل، طبع بیروت، ص ۲۸۲
- ۱۸۔ تبریزی خطیب ولی الدین، مشکوٰۃ المصابیح، قدیمی کتب خانہ، ص ۲۱۳
- ۱۹۔ تبریزی خطیب ولی الدین، مشکوٰۃ المصابیح، قدیمی کتب خانہ، ص ۳۲۱
- ۲۰۔ ایضاً، ص ۳۲۲
- ۲۱۔ اعزاز علی زاد الطالبین، قدیمی کتب خانہ کراچی، ص ۶
- ۲۲۔ تبریزی خطیب ولی الدین، مشکوٰۃ المصابیح، قدیمی کتب خانہ، ص ۳۳۲
- ۲۳۔ ایضاً
- ۲۴۔ ایضاً
- ۲۵۔ اعزاز علی، زاد الطالبین، قدیمی کتب خانہ، ص ۳
- ۲۶۔ امام مسلم، صحیح مسلم، قدیمی کتب خانہ، ص ۲۸
- ۲۷۔ احمد بن حنبل، مسند احمد، طبع بیروت، حدیث نمبر ۲۲۷۱۶، ج ۲، ص ۲۱۰
- ۲۸۔ الترمذی، سنن الترمذی، ج ۲، ص ۱۳
- ۲۹۔ ایضاً، ص ۲۱۷
- ۳۰۔ بخاری، صحیح بخاری، قدیمی کتب خانہ، کراچی، ص ۷۴
- ۳۱۔ احمد بن حنبل، مسند طبع بیروت، ج ۳، ص ۳۲۱
- ۳۲۔ خطیب ولی الدین تبریزی، مشکوٰۃ المصابیح، قدیمی کتب خانہ، ص ۳۳۹
- ۳۳۔ احمد بن حنبل، مسند احمد، طبع بیروت، حدیث نمبر ۹۴۰۳

